

حول ديوان أبي نؤاس الصنعة المنسوبة ليحيى بن الفضل

د. عبد الرحيم الرحوتي(*)



في الفقرة التي خصصها ابن النديم للحديث عن شعر أبي نؤاس في الفن الثاني للمقالة الرابعة من كتاب الفهرست، وهو الفن الذي تناول فيه دواوين الشعراء المحدثين ومقادير أشعارهم، قال: «فممن عمل شعر أبي نؤاس على غير الحروف يحيى بن الفضل راويته وجعله عشرة أصناف»^(١).

لم يذكر صاحب الفهرست مقدار ما نظم أبو نؤاس من شعر ولم يستكثره مثل ما فعل مع أشعار كل من بشار بن برد وأبي العتاهية مثلاً، كما لم يذكر أن شعره جمع وصنّف بين دفتي ديوان في حياته، بل يبدو من كلامه أنه ظلّ غير معمول حتى بعد وفاة الشاعر، وإلا فإنّ الشعراء كانوا يحرصون على تدوين أشعارهم، بيد أن وجود أشعار مدونة في دفتر أو دفاتر لم يكن كافياً لكي تُشكل بصورتها هذه ديواناً شعرياً بالمفهوم الذي كان متداولاً في تلك العصور المتقدمة، أو على الأقلّ هذا ما نفهمه من كلام ابن النديم الذي كان يحرص كلّ

(*) أكاديمي مغربي، الرباط.

(١) ابن النديم: الفهرست، قابله على أصوله وعلق عليه أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩، ج ١ ص ٥٠٤.

الحرص على أن يُميّز، ما استطاعَ إلى ذلك سبيلاً، بين الأشعار غير المعمولة والأشعار المعمولة أو المصنوعة، أي بين الأشعار المكتوبة التي لم تُؤلف وتلك التي صنعت أو عملت على شكل دواوين مؤلفة (٢).

يبدو أن شعر أبي نؤاس لم يكن مصنوعاً عند وفاته، أو على الأقل هذا ما نفهمه من كلام ابن النديم، وأن تأليفه وجمعه في ديوان لم يحصل إلا في وقت لاحق، ومن الأوائل الذين بادروا إلى جمعه وتبويب مادته، يحيى بن الفضل الذي صنعه ورتب فيه الأشعار على الأصناف وجعلها عشرة، وهي الصنعة التي سنحاول التطرق إليها في نص المحاولة الراهنة.

ولا بدّ أولاً من معرفة هوية الرجل الذي جاء عند ابن النديم على رأس قائمة من صنعوا ديوان أبي نؤاس ونعته باسم يحيى بن الفضل، من هو يحيى بن الفضل هذا؟ في الواقع، لم نجد لهذا الرجل أثراً في المصادر القديمة التي أتت

(٢) نقرأ في كتاب الفهرست عند تناول ابن النديم لشعر أبي تمام ما يلي: «ولم يزل شعره [أبو تمام] غير مؤلف، يكون نحو مائتي ورقة إلى أيام الصولي، فإنه عمله على الحروف نحو ثلاثمائة ورقة وعمله حمزة بن الحسن الأصبهاني أيضاً فوجد فيه على غير الحروف، بل على الأنواع»؛ الفهرست، ج ١ ص ٥٢٨. هناك أمثلة عديدة من هذا النوع في الفن الثاني من المقالة الرابعة يميز فيها ابن النديم بين الأشعار غير المعمولة التي يكتفي بذكر مقاديرها والمعمولة، أي التي صنعت على هيئة دواوين مع ذكر من عملوها وطريقة عملهم لها.

لنا مراجعتها وذكرت من بين أسماء الرجال من عرفوا بنقلهم لأخبار أبي نؤاس ورواية أشعاره، كما لم نقف على أية رواية من أي نوع تنسب له على علاقة بالشاعر، خبراً كان أو شعراً. كيف يمكننا التعامل مع حالة هذا الرجل الذي قيل أنه من الأوائل الذين بادروا إلى صنع ديوان أبي نؤاس وجعله عشرة أصناف، ونحن لم نجد له أي أثر في المصادر القديمة، لا من حيث رواية شعره، ولا من حيث صنع ديوانه، ولا من حيث ابتكار منهجية معينة في ترتيب أشعاره؟ سيظل هذا السؤال لغزاً محيراً ما لم نتوفر على ما يمكنه أن يساعدنا على فك شفرته.

كل ما يمكن أن نقوم به في حالة مثل هذه هو التماس باب الافتراض فقد يساعدنا ذلك على تحديد هوية مَنْ نعته ابن النديم براوية أبي نؤاس، إن لم يكن على سبيل القطع، فعلى سبيل التقريب. بما أن أبا نؤاس كان على علاقة وطيدة بآل نوبخت، مقيماً بين ظهرانيتهم معظم الوقت، معاشراً لهم منذ حلوله ببغداد واستمر الحال على ما هو عليه طوال مدة مقامه بمدينة السلام حتى وفاته (٣)، إلى حد أننا سنسجل حضور أحد أبناء هذه الأسرة على الأقل، ويتعلق الأمر بإسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت، ضمن اللجنة التي أشرفت

(٣) عباس إقبال: آل نوبخت، نقله إلى العربية علي هاشم الأسدي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤٢٥، ص ٤٠-٤٣.

على تصفية تركية الشاعر^(٤)، بل يبدو أنّ هذه الأسرة هي التي انتمت على تركته مدة من الزمان إلى أن جاءت أمه وتسلمتها منهم في حضور الرجل الذي أوصى له أبو نؤاس، زكريا القشاري^(٥)؛ وبما أنّ المصادر تذكر من بين أبناء أبي سهل بن نوبخت ابناً اسمه الفضل بن أبي سهل بن نوبخت وقد يكون أكبر أبنائه؛ وبما أننا نقف في الديوان على ما يفيد أنّ أبا نؤاس كان على علاقة بالفضل هذا وله فيه أشعار^(٦)، فإن ذلك يسمح بافتراض أنّ الفضل بن أبي سهل بن نوبخت كان له ولد ذكر يحمل من الأسماء اسم يحيى، وإن لم يتأكد ذلك في المصادر المتوفرة، وقد يكون يحيى بن الفضل هذا هو عينه الرجل الذي تحدّث عنه ابن النديم ونعته بأنه راوية أبي نؤاس وصانع ديوانه على الأصناف، لا سيما أن أغلب آل نوبخت كانوا رواة لأشعار أبي نؤاس وأخباره ويحرصون كلّ الحرص على جمعها وتوثيقها^(٧).

قد لا يكون هذا التقدير بعيداً عن الواقع، خاصة وأن فؤاد سوزكين ذهب بدوره إلى القول

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) ابن منظور: مختار الأغانى، تحقيق عبد العليم الطحاوي (الجزء الثالث)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦، ج ٣، ص ٢٩٨.

(٦) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، تحقيق إيفالد فاغنز وغيرغور شولر، النشرات الإسلامية، دار الكتاب العربي، برلين، ١٩٧٢-٢٠٠٦، ج ١، ص ٢٨٤؛ ج ٢، ص ١١٢؛ ج ٤، ص ١٠٧.

(٧) عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ص ٤٢.

بأن يحيى بن الفضل مؤلف شعر أبي نؤاس هو أحد أفراد الأسرة النوبختية^(٨)، وإن لم يقل صراحة أن يحيى بن الفضل هو ابن الفضل بن أبي سهل بن نوبخت، ولكنّه نصّ على أنّ الأمر يتعلق بأحد أفراد هذه الأسرة وهذا في حد ذاته يوفر لنا الدليل على أن يحيى بن الفضل، سواء كان ابن الفضل بن أبي سهل أو لم يكن ابنه، هو في نهاية المطاف أحد أفراد الأسرة النوبختية وهذه في حد ذاتها نتيجة على جانب كبير من الأهمية لأنها تجعلنا نخطو خطوة كبيرة في اتجاه تحديد هوية المؤلف المفترض لواحدة من أقدم صناعات ديوان أبي نؤاس إن لن تكن أقدمها على الإطلاق.

لكنّ الإشكال الذي يطرح مع يحيى بن الفضل هذا، لا يخص هويته فقط، بل علاقته بشعر أبي نؤاس أيضاً، بحيث لم نقف له على أثر فيما رجعنا إليه من مصادر ترجمت للشاعر وذكرت أخباره مفصلة أو موجزة، كما أننا لم نجد ما يشير إلى وجود علاقة له بالشعر عامّة وشعر أبي نؤاس خاصّة، حتى عباس إقبال في كتابه آل نوبخت لم يذكره لا قصداً ولا عرضاً، في حين أنّه ذكر من يفترض أنّه أبوه (الفضل بن أبي سهل) وقال إنّّه كان من ندماء أبي نؤاس وخطائه^(٩)، أكثر من ذلك نقف في صنعة حمزة الأصبهاني

(٨) فؤاد سوزكين: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية د.عرفة مصطفى، راجعه د.محمود فهمي حجازي ود. سعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩١، مجلد ٢، ج ٤، ص ١١٤.

(٩) عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ص ٣٨-٣٩.

على أشعار لأبي نؤاس في الفضل بن أبي سهل
توثق العلاقة التي كانت قائمة بين الرجلين^(١٠)
ووثق فؤاد سوزكين بدوره هذه العلاقة اعتماداً
على إيفالد فاغندر^(١١). لكننا، وهذا ما حيرنا، لم
نقف، لا عند حمزة الأصبهاني باعتباره استنسخ،
أثناء زيارته لبغداد سنة ٣٢٣ هـ^(١٢)، ما كان
يحتفظ به آل نوبخت من وثائق عن أبي نؤاس
أخباراً وأشعاراً وسمع من عدد من أفرادهم ممن
لقيهم خلال رحلته هذه، ولا عند غيره من المؤلفين
الآخرين، باستثناء ابن النديم، على من ذكر يحيى
بن الفضل بن أبي سهل بن نوبخت ولو عرضاً
شخصاً أولاً، ثم رابطة لأبي نؤاس ثانياً، ثم صانعاً
لديوانه ثالثاً، ثم صاحب منهجية معينة في تأليفه
لديوان رابعاً.

أما من بين الباحثين المحدثين العرب الذين ذكروا
يحيى بن الفضل باعتباره صاحب صنعة لديوان
أبي نؤاس، فلم نجد أحداً غير بهجت عبد الغفور
الحديثي في مقدمة تحقيقه لديوان الشاعر بصنعة
أبي بكر الصولي^(١٣) معتمداً في ذلك على كتاب

(١٠) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره،
ج ٢ ص ١١٢.

(١١) فؤاد سوزكين: تاريخ التراث العربي، سبق ذكره
مجلد ٢، ج ٤ ص ١١٤.

(١٢) أشار حمزة الأصبهاني لهذه الرحلة في صنعة
لديوان أبي نؤاس بقوله: «فلما وردت بغداد ثالث مرة،
وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وطلبت نسخ شعر
أبي نؤاس من النوبختيين...». حمزة الأصبهاني: ديوان
أبي نؤاس، سبق ذكره، ج ٥ ص ٣٥٧.

(١٣) أبو بكر الصولي: ديوان أبي نؤاس، تحقيق عبد
الغفور بهجت الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث،
دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ٢٠١٠، ص ١٣. لهذا
التحقيق طبعة أولى صدرت في بغداد سنة ١٩٨٠ عن دار
الرسالة للطباعة وهو في الأصل رسالة تقدم بها صاحبها
لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة بغداد.

الفهرست وعلى دراسة حديثة بعنوان «زهديات
أبي نؤاس» من تأليف علي أحمد الزبيدي^(١٤) من
دون أن يضيف شيئاً، ولكن الأغرب في كل هذا
قوله إن حمزة الأصبهاني اتهمه، أي أنهم يحيى
بن الفضل، بإضافة عدد من الأشعار والأخبار في
صنعة للديوان^(١٥).

لا ندري ما الذي يعنيه بهجت عبد الغفور
الحديثي بهذه الأشعار والأخبار التي قال على
لسان حمزة الأصبهاني أن يحيى بن الفضل
أضافها إلى ديوان أبي نؤاس؟ هل يتعلق الأمر
بأشعار وأخبار صحيحة النسبة لأبي نؤاس
أم بعكس ذلك، أي بأشعار وأخبار زائفة أقدم
الرجل على حشو صنعة بها؟ استعمل المحقق
لفظ «اتهم» لا يترك مجالاً للشك، أن ما أضافه
يحيى بن الفضل من أشعار وأخبار للديوان الذي
صنعه، لا يمكن أن تكون إلا من الزائف والمكذوب
الذي لم تصح نسبته لأبي نؤاس. لا ندري كيف
يمكن لمثل هذا الكلام أن يستقيم، لاسيما وأننا في
حضور رابطة أبي نؤاس ولكنه أصبح على لسان
بهجت عبد الغفور الحديثي رابطة لا يضبط
شعر الحسن بن هانئ وأخباره كما يجب أن
يكون الضبط، بدليل أنه أقدم على إضافة أشياء
في صنعة لم يحضها ولم يخضعها للاستقصاء
اللازم، وهي الإضافات التي أثار انتباه حمزة
الأصبهاني الذي لم يفتئ الانتباه إليها والتنبيه
عليها واتهام يحيى بن الفضل بشأنها.

هكذا إذا، يكون حمزة الأصبهاني قد اطلع على
صنعة يحيى بن الفضل ودرسها وتأملها ووجد
أن بها أشعاراً وأخباراً زائفة أضافها رابطة أبي
نؤاس إلى صنعة للديوان. إذا كان كتاب الفهرست
من المصادر المعروفة المتداولة وله قيمته من حيث

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣، هامش رقم ٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٣.

ذكر قصداً أو عرَضاً في هَذِهِ الصَّنَعَةِ، على أَنَّ حمزةَ الأصبهانيِّ رحل، كما سبق أن ذكرنا، إلى بغدادَ سنة ٣٢٣ هـ لاستكمالِ جمعه شعرَ أبي نؤاسٍ وأخباره، والاطلاع على ما كانَ يحتفظ به آل نوبختَ من وثائقٍ عن الشاعر واستنسخها كما سمعَ من بعضِ أفرادِها ولكنه لم يذكرْ أنه وقع بين يديه، من ضمنِ النسخِ التي اطلَعَ عليها، شيءٌ من قبيلِ تأليفِ في شعرِ أبي نؤاسٍ يرجع إلى يحيى بن الفضلِ، ولا أنَّه سمعَ من آل نوبختَ الذين لقيهم في رحلته من تحدث عن رواية أو صنعة أو أي شيء على صلة بهذا الرجل الذي ينتمي لجيل سابق من هَذِهِ الأُسرة. أين اختفت صنعة يحيى بن الفضلِ إذا؟

هذا، وقد سبق أن ذكرنا أن المصاير القديمة، أو على الأقل تلك التي أتت لنا الاطلاع عليها، لم تذكرْ شخصاً باسم يحيى بن الفضلِ، عدا ما ذكره صاحبُ كتابِ الفهرستِ، بل حتى من ضمن مَنْ ذُكرتْ أسماءهم من أبناءِ آل نوبختَ في رواية أشعارِ أبي نؤاسٍ وأخباره، لم نقف على أحدٍ منهم يحمل من الأسماء اسمَ يحيى بن الفضلِ. يُمكن أن نضيف أن حمزةَ الأصبهانيِّ الذي اطلَعَ بشكل مباشر على ما كانت تحتفظ به أسرة آل نوبختَ من وثائقٍ ودفاترٍ تتضمنُ أشعارَ أبي نؤاسٍ وأخباره لم يذكرْ أنه وقع بين يديه عمل مصنوع لشعرِ أبي نؤاسٍ، بل تحدث مُستعملاً لفظ «النسخ» الذي قد لا يكونُ يعني شيئاً آخر غير دفاترِ دونت بها أشعارُ أبي نؤاسٍ وأخباره، وهي كلُّ ما كانَ يحتفظ به آل نوبختَ ولو كانَ هناك شيء آخر ما

المعلومات التي يوفرها وقد تضمنَ فعلاً إشارةً واضحةً إلى يحيى بن الفضلِ ونُسبت إليه فيه صنعةُ لديوانِ أبي نؤاسٍ بوبت فيها الأشعار على الأصناف، فإننا لمَ نتمكنُ من الاطلاع على كتاب «زهدياتِ أبي نؤاسٍ» للوقوفِ على حقيقة ما أشار إليه بهجت عبد الغفور الحديثي. مهما كان، فإن هذا التأليف، أي «زهدياتِ أبي نؤاسٍ» هو عبارة عن دراسة حديثة ولا يمكن للمرء أن يتصور أن صاحبها جاء فيها بأشياء خارجة عن المؤلف أو انفردَ فيها بالاطلاع على مصايرٍ قديمة لمَ نوفق في الوصول إليها. حتى لو افترضنا أن علي أحمد الزبيدي استقى معلوماته من مصايرٍ قديمة عن يحيى بن الفضلِ لما استعصى علينا الوصول إليها والاطلاع على ما وفرت من معلوماتٍ في الموضوع، فضلاً عن أن المتاح منها اليوم، أي المصاير القديمة، هو أضعاف ما كانَ متوفراً في مستهل النصف الثاني من القرن العشرين وقت إعداد هذه الدراسة.

من جهة أخرى، راجعنا بابَ الزهديات في صنعة حمزة بن الحسن الأصبهانيِّ لعلنا نقف على ما يمكنه أن يدعمَ كلامَ بهجت عبد الغفور الحديثي^(١٦)، ولكننا لمَ نجدْ أي شيء من قبيل ما ذكر. أكثر من ذلك، مراجعتنا لنصِّ الديوانِ في صنعة حمزة الأصبهانيِّ ولفهارسه لمَ تساعدنا في الوقوف على شخصٍ باسم يحيى بن الفضلِ

(١٦) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره،

الذي منع حمزة الأصبهاني من الإفصاح عنه؟ أين هو إذا الديوان المصنوع، حتى يُمكننا أن نتجاوز هذا الحدّ للحديث على ما أضيفَ إليه من أشعار وأخبار زائفة من لدن يحيى بن الفضل؟ ثم كيف تم لنا توثيق الوجود التاريخي ليحيى بن الفضل حتى نفقرَ هذه القفزة الكبرى ونجعلَه يضيفُ على لسان حمزة الأصبهاني أشياءً مكذوبةً إلى أشعار أبي نؤاس وأخباره؟ ثم هل يستقيم الكلام عن يحيى بن الفضل، باعتباره راوية أبي نؤاس مع ما تفترضه الرواية من توفر شروط الدقة والأمانة والتمكن من المتن الشعري وضبطه ضبطاً تاماً، وفي الوقت نفسه باعتباره مُلفقاً تقوّل على الشاعر ونَحَلَهُ أشعاراً وأخباراً لم تصح نسبتها إليه؟

من جانبه، ذكر فؤاد سوزكين يحيى بن الفضل وعده من رجال الطبقة الثانية^(١٧) من رِوَاة أبي نؤاس، شأنه في ذلك شأن أبي هفان (توفي ٣٥٧ هـ)، أي من الرجال الذين قد لا يكونون سمعوا مباشرة من أبي نؤاس أو قلما سمعوا عنه، بحسبان عامل السن، فيما أَلْفُوهُ من كتبٍ أو صنَعُوهُ من دواوين. يضيف فؤاد سوزكين بعد ذلك أن أبا نؤاس كان من خُلطاء الفضل بن أبي سهل، أي والد يحيى بن الفضل المفترض ولم يذكر أن الشاعر كان على علاقة، بشكل من الأشكال، بالابن يحيى واعتمد في كل ذلك على إيفالد فاغندر محقق ديوان أبي نؤاس في صنعة حمزة الأصبهاني،

(١٧) فؤاد سوزكين: تاريخ التراث العربي، سبق ذكره، ج ٤ ص ١١٤.

وختم بالقول إن يحيى بن الفضل هو أول من عمل مجموعة كبيرة من شعر أبي نؤاس وجعلها في عشرة حدود، وأحال بخصوص هذه النقطة الأخيرة إلى كتاب الفهرست^(١٨).

ما ذكره فؤاد سوزكين ينسجم تماماً مع تأويلنا ومع ما توفر لدينا من معلوماتٍ مُستقاة من شتّى المصادر التي رجعنا إليها، مع ملاحظة أن صاحب كتاب «تاريخ التراث العربي»، رغم اعتماده كتاب الفهرست، لم يذكر أن يحيى بن الفضل صنع ديواناً، بل تحدّث عن مجموعة كبيرة هي الأولى من نوعها وجعلها على عشرة حدود، وهو بذلك يخالف ما ذكره ابن النديم الذي تحدّث عن ديوان مصنوع مُرتّب على الأصناف^(١٩). قد يكون هذا الاختلاف ناجماً في المقام الأول عن أن فؤاد سوزكين كانت بين يديه معلومات أخرى توفرت له من مصادر أخرى، لا سيّما أبحاث إيفالد فاغندر محقق ديوان أبي نؤاس في صنعة حمزة الأصبهاني، عند تناوله بالحديث يحيى بن الفضل باعتباره أحد رِوَاة شعر أبي نؤاس وأول من أَلَفَ جَمْعاً كبيراً لشعره.

(١٨) نفسه ج ٤، ص ١١٤.

(١٩) لا ندري كيف يمكننا التعامل مع هذا الاختلاف في العبارة بين ابن النديم وفؤاد سوزكين؟ هل هو اختلاف له ما يبرره ويسمح بالقول إن صاحب تاريخ التراث العربي قد تكون توفرت له معطيات معينة جعلته يصف عمل يحيى بن الفضل بعبارة مختلفة عن تلك التي جاءت في كتاب الفهرست، أم أن الأمر لا يتجاوز حدود خلل قد يكون وقع في الترجمة العربية؟

من مصادره الأساسية بحكم العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين الطرفين، أيّ بينهم وبين الشاعر، لمدة زمنية طويلة.

إذا كانت هذه هي الصورة التي رسمها القدماء لأسرة آل نوبخت، فإن الصوت المختلف لم نقف عليه إلا عند محقق ديوان أبي نؤاس في صنعة أبي بكر الصولي الذي ذكر أن يحيى بن الفضل أضاف في جمعه لشعر الحسن بن هانئ عددا من الأشعار والأخبار يفهم من كلامه عنها أنها من الزائف المكذوب، ونسب كل ذلك إلى حمزة الأصبهاني وهو ما لم يتأكد لدينا من مراجعتنا لصنعة هذا الأخير ولا في أيّ من مؤلفاته الأخرى التي اطلعنا عليها، كما لم يتحقق لدينا أيّ شيء مما قال في أيّ مصدر من المصادر القديمة، لا منسوبا لحمزة الأصبهاني ولا معزوا لغيره، وعليه فإن كلام بهجت عبد الغفور الحديثي لا يعدو أن يكون من الكلام المرسل على عواهنه.

مع ذلك، نميل إلى الاعتقاد بأنه إن حصل وأن كان هناك جمع لشعر أبي نؤاس من تأليف يحيى بن الفضل، فإن الأمر قد لا يكون تعدى حدود تدوين ما اتفق عليه وخطط له أفراد من أسرة آل نوبخت الذين كان عددهم منهم على إمام واسع بشعر أبي نؤاس وأخباره. أكثر من ذلك، يذكر عباس إقبال أن جامع شعر أبي نؤاس هو في الحقيقة إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت عم يحيى بن الفضل الذي كان، أيّ إسماعيل، صديقا حميما ونديفا للشاعر ربما بدرجة أعلى من باقي إخوته^(٢٢). لذلك قد يكون من الوجيه الحديث،

(٢٢) عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ص ٢١٨.

مهما كان، يكاد يتأكد أن يحيى بن الفضل هو في الحقيقة ابن الفضل بن أبي سهل بن نوبخت، وإذا كان الأمر كذلك، فإن آل نوبخت كانوا يوصفون من لدن القدماء بأنهم بيت علم وأدب وأصحاب رواية^(٢٠)، وكان العلماء والأدباء على اختلاف مشاربهم يوثقونهم جميعا ولا يستثنون منهم أحدا. فهذا أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني (توفي ٣٢٢ هـ) الذي ساد لديه الاعتقاد بأن بيتا من شعر أبي نؤاس لحقه تصحيف عند أهل الجبل (إقليم الجبل أو الجبال يقع في غرب إيران أطلق عليه لاحقا اسم عراق العجم) انتظر إلى أن زار مرة بغداد فألقى البيت، كما قال، «على جماعة من المتحققين برواية شعر أبي نؤاس حتى جارت بعض آل نوبخت وهم الذين كان أبو نؤاس ضيفهم ونزيلهم فدونا شعره وكتبوا أخباره واستنشدته البيت فأنشدني على ما سمعته بالجبل»^(٢١). هذه الشهادة لا يمكن أن نقف على ما هو أشد وضوحا منها بشأن المنزلة التي كان يحظى بها آل نوبخت حتى يأتي عالم كبير من مرتبة محمد بن بحر الأصبهاني ليسألهم عن الرواية الصحيحة لبيت شعري لأبي نؤاس شك في صحة روايته. يمكن أن نضاعف عدد الشهادات على مصداقية آل نوبخت والثقة التي كانوا يتمتعون بها في عصرهم، خاصة عندما كان الأمر يتعلق بشعر أبي نؤاس، إذ كانوا يعدون مصدرا

(٢٠) عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ص ٤٢.

(٢١) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره،

ج ١ ص ١٢٠.

بخصوص هذا الجمع الذي نسبه ابن النديم ليحيى بن الفضل ونسبه عباس إقبال إلى إسماعيل بن أبي سهل، عن عمل جماعي، عمل قد تكون تضافرت فيه مجهودات عدة، رغبة من أصحابها في صيانة إبداع الحسن بن هانئ الشعري وحفظ أخباره من الاندثار والضياع مع مرور الوقت.

لم يصنع مجموع آل نوبخت، على ما يظهر، للتكسب، أي لكي يعرض في الأسواق بضاعة تباع وتشتري، بل للاحتفاظ به داخل الأسرة وروايته جيلاً بعد جيل بين أفرادها وتمكين الباحثين عن أخبار أبي نؤاس وأشعاره من الحصول عليها من هذا المجموع الذي حافظوا عليه على امتداد أجيال عدة إلى أن وضعوه بين يدي حمزة الأصبهاني فاستنسخه في رحلته الثالثة إلى بغداد واتخذه مصدراً من مصادر صنعته للديوان.

لو كان الجمع الذي نسب في كتاب الفهرست ليحيى بن الفضل عبارة عن ديوان مصنوع وفق شروط صنعة الدواوين الشعرية وكان الغرض منه التكسب لطرح في السوق وقد تكون أتاحت الفرصة لابن النديم، الذي كان يتعاطى مهنة الوراق، الاطلاع عليه ووصفه انطلاقاً من مشاهدته العينية له وكان من شأن ذلك أن يوفر لكلامه عن الجمع الذي أنجزه يحيى بن الفضل شروط الدقة الضرورية، ولكن لا يبدو أن مثل ذلك حصل وأن ما جاء على لسان صاحب كتاب الفهرست بشأن هذا المجموع، بما في ذلك طريقة ترتيب الأشعار فيه، بجانب للصواب كما سنقف على ذلك في حينه.

نرجح إذا، أن الديوان الذي نسبه ابن النديم ليحيى بن الفضل لم يكن ديواناً بالمعنى الدقيق للكلمة، بل هو جمع على سبيل الاستقصاء إلى حد ما، وهو كما اتضح قد يكون عملاً جماعياً ساهم فيه بهذا القدر أو ذاك بعض أبناء أبي سهل بن نوبخت ممن كانوا يحسنون التعامل مع شعر الحسن بن هانئ ويضبطون أخباره، وأن من حطط ودبر وسهر على إنجاز هذا المشروع قد يكون إسماعيل بن أبي سهل بالدرجة الأولى، وإذا حصل أن ساهم فيه يحيى بن الفضل فمن باب التنفيذ من دون أن يكون ذلك راجعاً إليه وحده، كما أننا نميل إلى الاعتقاد بأنه إن كان يروي شعر أبي نؤاس، فإنه لم يكن يروي منه إلا قطعة ومن المستبعد جداً القول إنه كان يضبطه بتمامه وكماله، إذ لو كان الأمر كذلك فما الذي جعل المصادر القديمة تسكت عن رواية لشعر أبي نؤاس بهذا الحجم وذكرت آخرين ممن لم يكونوا يحيطون من شعره إلا ببعضه؟ (٢٣).

هذا ما يجعلنا نرجح أنه إن كان هناك من جمع تحقق على يد آل نوبخت، فإنه لا يُنصّر أن يكون إلا جمعاً تضافرت في إنجازها جهود عدة.

(٢٣) يشير حمزة الأصبهاني في مقدمة صنعته إلى كثرة شعر أبي نؤاس والصعوبة التي واجهت الرواة في الإحاطة به، وذلك عندما يقول: «منتشر الشعر لم يحط الرواة بجل شعره ولا صدر إلى الناس عنهم فيما رواوا عنه نسخة صحيحة معتمدة، وقد شذ عن النسخ المودعة المجموعة الكثير من شعره». حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ج ١ ص ٤.

ذلك، فإن هذا الأمر لا يزيد عن أن يكون افتراضاً وبوصفه كذلك قد يصدق وقد لا يصدق، كما أنه قد لا يكون الوحيد في بابهِ وقد تكون هناك احتمالات أخرى، زد على ذلك أن هذا الجمع الذي نسبهُ ابنُ النديمِ ليحيى بن الفضلِ قد لا يكون من عمله وحتى اعتباره من عمل آل نوبختِ مُجتمعين يحتاجُ إلى مزيدٍ من التقصي والتدقيق لعلَّ الأمور تستوي فيه بالشكل المطلوب.

حتى نستوعب جيداً الفكرة التي نرجحها بشأن الطريقة التي كان يشتغل بها آل نوبخت، يمكننا الاستعانة بخبر رواه أبو بكر الصولي (توفي ٣٣٦ هـ) عن أبي العباس ثعلب (توفي ٢٩١ هـ) الذي كان يجالس جماعة من الكتّاب من جملتهم أبو العباس بن ثوابة (توفي ٢٧٧ هـ) وكان هؤلاء كثيراً ما يتناشدون في مجالسهم شعرَ أبي تمام ويتبادلون فيه الرأي ويناقشون دقيقَ معانيه ويفضّلونه على ما عداهُ من أشعار المُحدثين، ولم يكن أبو العباس ثعلبُ ممن يُحسنون التعامل مع شعر حبيب، فقصد بني نوبخت وطلب منهم أن يعملوا له اختياراً من شعره حتى يجد لنفسه مكاناً بين الكتّاب الذين كان يجالسهم، فأنجزوا له ما أراد. حتى إذا استعرض الاختيار على ابن ثوابة واستحسنه عاد من جديد إليهم، أي إلى آل نوبخت، وطلب منهم أن يفسروا له معانيه وفعّلوا ذلك معه جماعة^(٢٤). نقف مع هذا المثال على

(٢٤) الصولي: أخبار أبي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧، ص ١٥-١٦.

الطريقة التي تعود آل نوبختِ الاشتغال وفقها، وهي طريقة جماعية قائمة على التعاون وتظافر الجهود لبلوغ الهدف المرسوم.

ولعلنا لا نبالغ في شيء إذا قلنا إن هذه الطريقة في العمل التي تجسدت مع المطلب الذي تقدم به إليهم أبو العباس ثعلب هي نفسها طريقة العمل التي ربما التمسوها مجتمعين فيما قد يكونون أنجزوه من جمع لشعر وأخبار أبي نؤاس، وجاء ابن النديم ونسبه في كتابه لأحد أفرادهم وهو يحيى بن الفضل، في حين أن من كان من بين آل نوبخت يروون أشعار أبي نؤاس وأخباره عديدون وقد لا يكون يحيى بن الفضل هذا، فاق أعمامه مثل إسماعيل بن أبي سهل^(٢٥)، وسليمان بن أبي سهل^(٢٦)، وداود بن أبي سهل^(٢٧)، وعلي بن أبي سهل^(٢٨)، وعبد الله بن أبي سهل^(٢٩)، وسهل بن أبي سهل^(٣٠) حتى لا نذكر إلا من ثبت لدينا بالدليل أنهم كانوا يروون قطعاً من أشعار أبي نؤاس أو أخباره أو هما معاً، فكيف لنا أن نُغيّب كل هؤلاء الرجال لنحتفظ باسم أحد أفراد الأسرة النوبختية ومن الطبقة الثانية فوق كل ذلك، في حين أن من ذكرنا هم جميعاً من الطبقة الأولى، أي من الذين نادىوا الشاعر وخالطوه بنحو يومي

(٢٥) عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ٣٣ - ٣٦.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٧ - ٣٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٣٩ - ٤٠.

تقريبًا، ورافقوه في جُلِّهِ وترحالِهِ وعاشوا مَعَهُ مُغامراتِهِ بكل أشكالها وألوانها، لذلك نجد كلام عَبَّاسٍ إقبال الذي نسب فيه جمع شعر أبي نُوَاسٍ وأخباره إلى إسماعيل بن أبي سَهْلٍ أكثر انسجامًا مع الواقع إذا ما قيس بنسبته لِيَحْيَى بن الفَضْلِ الذي لَمْ يسجل حضوره مع الشاعر لا في خبر ولا في مغامرة ولا في مدح ولا في هجاء ولا في أي شيء، في حين أن إسماعيل بن أبي سَهْلٍ لَهُ مع أبي نُوَاسٍ أخبار عدة ومغامرات متعددة، فضلًا عن أَنَّهُ يُعَدُّ من ضمن ممدوحيه، وإن هجاءه أيضًا، إلا أَنَّ العلاقة بين الرجلين ثابتة وظلت راسخة على مرَّ الزمان إلى حد سنجد إسماعيل هذا، حاضرا ضمن أعضاء اللجنة التي تكلفت بتصفيية تركة الشاعر بعد وفاته.

مع ذكر تركة أبي نُوَاسٍ نكون قد وصلنا إلى نقطة شديدة الحساسية في موضوعنا، وهي تلك التي تتعلق بشعره الذي يفترض أَنَّهُ كَانَ يُدُونُهُ أو على الأقلَّ الجزء الذي كَانَ ينوي الاحتفاظ به، وهي عادة كانت منتشرة بشكل واسع عند الشعراء في تلك العصور، بحيث كانوا يحرصون على تدوين ما يرون أَنَّهُ يستحقُّ أَنْ يُحتفظ بِهِ مما يقولونه من أشعار ويُسْقِطون الباقي وهو ما يفسر أن جزءًا قد يقلُّ أو يكثر من أشعارهم يوجد عادة خارج دواوينهم^(٣١). ذكرنا في الفقرة السابقة

(٣١) ذكر ابن نباته في شرحه لرسالة ابن زيدون أن للمتنبّي أشعارا لم تدخل في ديوانه. وذكر أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهاني نقلًا عن ابن جني «أن المتنبّي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس». ابن نباته المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر

أن إسماعيل بن أبي سَهْلٍ كَانَ حاضرا ضمن اللجنة التي حُوِّلَ إليها تصفيية تركة أبي نُوَاسٍ وقد يَكُونُ هذا الحضور وفر لآل نوبخت فرصة لا تعوض للوقوف على أشعاره التي كَانَ يحتفظ بها في دفاتره الشخصية ببيتِهِ فاستأثروا بها، على الأقلَّ بشكل مؤقت، واستنسخوها وأضافوا إليها ما كانوا يروونه هم أنفسهم منها مما لَمْ يرد ذكره في هذه الدفاتر، فأصبحوا بذلك مصدرًا يتعذَّر الاستغناء عنه لكل من ساقته الأقدار للاهتمام بشكل من الأشكال بشعر الحسن بن هانئ.

العربي، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٤؛ أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصبهاني: الواضح في مشكلات شعر المتنبّي، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨، ص ١٠. بدوره تناول حمزة الأصبهاني نفس الموضوع بشأن أبي نُوَاسٍ في الباب الأول من صناعته، إذ يقول: «لم يُحِط الرواة بجل شعره ولا صدر إلى الناس عنهم فيما رواوا عنه نسخة صحيحة معتمدة وقد شذ عن النسخ المودعة المجموعة الكثير من شعره حتى إن له بمصر قصائد لا يعرفها من بالعراق فقد حكى آل نبيخت (نوبخت)، وهم الذين كان أبو نُوَاسٍ منقطعًا إليهم ومعاشرًا لهم، أنه ذهب من شعر أبي نُوَاسٍ قطعة كبيرة لقلّة احتفاله به». ثم يضيف في فقرة أخرى من نفس الباب أن أبا نُوَاسٍ قد يكون أسقط جزءًا من أشعاره بشكل مقصود ويستدل على ذلك بمداخه في جعفر بن يحيى البرمكي التي، كما قال، لا يوجد «في أيدي الناس منها شيء». حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نُوَاسٍ، سبق ذكره، ج ١ ص ٤ - ٦. هذه الظاهرة ليست خاصة بالمتنبّي وأبي نُوَاسٍ، بل هي حال أغلب الشعراء المحدثين، بحيث نجد في غالب الأحيان أشعارا خارج دواوينهم المعمولة وهي صحيحة النسبة لهم، وهذه ظاهرة مثيرة للانتباه وتستحق التأمل والدراسة.

أبي نؤاس ولا أحفظُ منه مع قلة كتبه، لقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا إلا قُمطراً فيه جزان، مشتمل على غريب ونحو لا غير»^(٣٢). نستفيد أولاً، من هذا الخبر أن آل نوبخت هم من قد يكونون تكلفوا، أو شاركوا في تصفية تركة الشاعر، على الأقل هذا ما يفيدنا إياه الخبر الذي ينص على حضور إسماعيل بن أبي سهل ضمن لجنة ربما تشكلت أساساً من النوبختيين لما كان للشاعر من علاقة وطيدة بهم.

فتشت اللجنة بيت أبي نؤاس بعد وفاته وأحصت ما وقفت عليه بداخله، وأن كل ما وجدته، على حد قول إسماعيل بن أبي سهل، هو عبارة عن أوراق بها أشياء تتعلق بالغريب والنحو لا غير؛ ولكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح ونحن في حضور عملية تفتيش منزل شاعر توفى حديثاً، أين هي أشعاره أو على الأقل، الأشعار التي نظمها وكان يحتفظ بها لنفسه؟ لا يجب نص الرواية عن هذا السؤال وقد لا يكون غرض إسماعيل بن أبي سهل من الخبر الذي نقل عنه الكشف عن مجموع ما وجدوه بمكتبة أبي نؤاس من وثائق، بل إشارة الانتباه إلى جانب واحد، ذلك الذي يتمثل في أنهم لم يجدوا في عملية تفتيش البيت كتباً كثيرة كما كانوا يتوقعون، بل عثروا فقط على أوراق دون فيها الشاعر بعض الأشياء واعتاد النظر فيها من وقت لآخر وربما اقتضت

(٣٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، باعتناء شكري الفيصل، النشرات الإسلامية، جمعية المستشرقين الألمانية، ١٩٩١، شتوتغارت، ج ١١ ص ٢٨٤.

يتأكد هذا الزعم في خبر جاء بصيغتين مختلفتين في المصادر القديمة، إحداهما متداولة بشكل واسع نسبياً، في حين أن الأخرى لم نقف عليها خلال أبحاثنا إلا في صنعة حمزة الأصبهاني لديوان أبي نؤاس وفي كتاب مختار الأغاني لابن منظور مع بعض الاختلاف بينهما، وتضيء لنا الصيغة التي جاءت عند حمزة الأصبهاني خاصة، المأل الذي آلت إليه دفاتر أشعار أبي نؤاس بعد وفاته بشكل ليس له ما يضاويه في باقي المصادر الأخرى التي تناولت الموضوع قصداً أو عرضاً. يتعلق الأمر في الخبرين معا بتركة أبي نؤاس التي، كما يمكن أن نتوقع، كانت تشتمل، من ضمن ما اشتملت عليه، على دفاتر أشعاره أيضاً. الخبر الأول، وهو المتداول بشكل واسع نسبياً وتكاد لا تخلو منه ترجمة للشاعر عند القدماء يحصر تركته، أو لنقل ما تركه من كتب وما شابه ذلك، في حزم من الأوراق وجدت في قُمطر بمنزله تشتمل على أشياء في الغريب وبعض الأمور التي تخص النحو، لكن، وهذا هو المهم، لم يرد فيها ما يفيد أنه وجدت ضمن هذه الأوراق دفاتر تشتمل على شعره أو أشعار شعراء آخرين كان يستعين بها في نظمه أو كتب أو رسائل وما إلى ذلك مما كان يحتفظ به في مكتبته الخاصة.

هكذا جاء الخبر في المصادر القديمة منسوبا لإسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت الذي كان صديقا وندىما للشاعر، كما سبق أن ذكرنا: «قال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسع علما من

الحاجة أن يستعين بها في قرض للشعر.

إذا كانت الرواية المنقولة عن إسماعيل بن أبي سهل لم تشر، لا من قريب ولا من بعيد، إلى وجود دفاتر أشعار أبي نؤاس أثناء تفتيش مكتبته، فإن الأمر ليس كذلك في الرواية الأخرى، تلك التي جاءت، كما ذكرنا بصيغتين بينهما بعض الاختلاف، ذكر أولاهما حمزة الأصبهاني في الباب الذي خصصه لأخبار أبي نؤاس في ختام صنعته للديوان، ونص الخبر: «وحكى النوبختيون أن تركة أبي نؤاس احتوتها أمه جليان وأن قيمتها بلغت مائتي دينار وأنه خلف فيما خلف قُمطر دفاتر وأصابير وقراطيس فيها نسخ أشعار له وشطرنج ونرد وعود وطنبور»^(٣٣). يتأكد بشكل لا يقبل الجدل في هذه الصيغة الثانية لرواية خبر تصفية تركة أبي نؤاس أن النوبختيين شاركوا فعلاً في عملية التصفية هاته؛ نلاحظ كذلك أن هذا الخبر، خلافاً لسابقه، لم ينسب لشخص بعينه، ولكن الأمر يتعلق، على ما يظهر، بخبر جماعي جاء منسوبا لعدد من أفراد آل نوبخت الذين تناقلوه على امتداد أجيال عدة إلى أن سمعه عنهم حمزة الأصبهاني وأثبتته في صنعته ضمن الباب الذي خصصه لأخبار الشاعر.

لكن احتمال أن يكون الأمر عبارة عن خبر سمعه حمزة الأصبهاني مشافهة من بعض آل نوبخت ممن لقيهم خلال رحلته إلى بغداد سنة

(٣٣) حمزة الأصبهاني، ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره،

ج ٥ ص ٣٣٥.

٣٢٣ هـ بهدف استكمال جمع شعر أبي نؤاس، قد لا يكون الاحتمال الوحيد في الموضوع، بل من الجائز أيضاً افتراض أنه وقع على وثيقة مكتوبة حررت خلال عملية جرد مخلفات الشاعر غداة وفاته من قبل اللجنة التي أشرفت على تصفية تركته؛ وعلى هذا الأساس، قد نكون في حضور وثيقة مكتوبة وقعت بين يدي حمزة الأصبهاني من بين النسخ التي وضعها آل نوبخت رهن إشارته ونسبها لهم من دون أن يحدد أحداً من أفرادهم، باعتبار أن الأمر يتعلق بوثيقة متوارثة ولا تنسب لشخص بعينه.

مهما كان، فإن هذه الرواية الثانية أدق من الأولى وتنص صراحة على أن أبا نؤاس كان يحتفظ بأشعاره في دفاتر أو على الأقل جزءاً مهماً منها، ذلك الذي كان قد عقد العزم على الاحتفاظ به؛ وعليه، ما الذي دفع إسماعيل بن أبي سهل إلى التغاضي عن ذكر وجود هذه الأشعار بين مخلفات تركة الشاعر في الرواية التي نقلت عنه؟ الجواب قد يكون بسيطاً ويتمثل في أن إسماعيل بن أبي سهل لم يكن هدفه التركيز على مجموع الوثائق المكتوبة التي وجدوها في مكتبة الشاعر، بل فقط على تلك التي تخص المصادر اللغوية والنحوية التي اعتاد الاستعانة بها من وقت لآخر وكلما دعت الحاجة.

في الواقع، لا ندري هل يتعين علينا الربط بين الروائتين أو فصلهما عن بعضهما؟ مهما كان، يبدو أن مقاربتهم بالربط بينهما قد تساعد على فهم أفضل لما رمى إليه إسماعيل بن أبي سهل

عندما نصّ في الخبر الذي نقل عنه بأنهم لم يجدوا، وهم يفتشون مكتبة أبي نؤاس، إلا حزما من الأوراق بها أشياء في الغريب والنحو، إذ لا يستبعد، والحالة هذه، أن تكون غايته من الخبر بالصورة التي نقل بها عنه صرف النظر عن أن أبا نؤاس كان يحتفظ، من بين ما كان يحتفظ به في بيته، بأشعاره، لا سيما تلك التي كان ينوي الاحتفاظ بها وعمد بناء على ذلك إلى تدوينها في دفاتر خصصها لهذا الأمر وأنها، أيّ الدفاتر، كانت مودعة، شأنها شأن باقي أوراقه الأخرى في نفس القمطر.

في الرواية الثانية للخبر المتعلق بمحتويات مكتبة أبي نؤاس، ينص النوبختيون على أن تركة الشاعر عادت إلى أمه، ولذا لا يسعنا إلا أن نسأل: ما مصير دفاتر أشعار أبي نؤاس بعد تصفية تركته؟ النص لا يترك مجالاً للتأويل أن كل ما تركه أبو نؤاس بعد وفاته آل إلى أمه جلبان. لكن هل تمكنت الأم بالفعل من تركة ابنها وتحوزت بها كما ورد ذلك في نص الخبر؟ ثم هل كانت حاضرة في بغداد عند وفاة ابنها أم أنها جاءت إليها بعد وفاته؟ أكثر من ذلك، هل مجيؤها إلى بغداد كان غداة الوفاة أم بعد انصرام مدة زمنية قصيرة كانت أو طويلة نسبياً؟

بعض الإضاءات الضرورية لكل هذه الأسئلة نجدها في خبرين آخرين يرتبطان بموضوع تركة الشاعر نفسه، ساقهما ابن منظور في كتاب مختار الأغاني عن زكريا القشاري، الرجل الذي أوصى له أبو نؤاس قبل وفاته. يقول الخبر الأول: «فبينما

زكريا [القشاري] ذات يوم بعد موت أبي نؤاس بمدة، إذا هو بشيخ خاضبٍ بحمرة ومعه عجوزٌ فسأل عنه ولم يعرفه، قال: بلغني أن أبا نؤاس أوصى إليك. قلت نعم، فمن أنت؟ قال: أنا راب أبي نؤاس وهذه أمه جلبان. فأخذت بيده وأدخلته دار بني نوبخت، وصحت: هذا زوج أم أبي نؤاس وهذه أمه، فاجتمعوا يسألونه وتأسفوا ألا يكونوا عرفوا ذلك قبل موته فيعيبوه به ويهجوّه به»^(٣٤). بتأملنا لهذا الخبر نقف على بعض العناصر التي من شأنها أن تساعدنا على الإحاطة بمآل تركة أبي نؤاس. في بداية الخبر ينص زكريا القشاري على أن أم أبي نؤاس وزوجها قدما إلى بغداد بعد وفاة الشاعر بمدة، مع ما يعنيه ذلك من أن مهلة زمنية طويلة نوعاً ما انقضت قبل أن تحضر أمه إلى بغداد لتسلم ممتلكات ابنها الهالك، وهي بذلك مهلة قد تكون أتاحت الفرصة لآل نوبخت ليستنسخوا دفاتر الشاعر في دفاتر أخرى بخط غير خطه. العنصر المهم الثاني يتمثل في أن وصي أبي نؤاس (زكريا القشاري) لما علم بحضور أم أبي نؤاس وزوجها قادهما مباشرة إلى بيت آل نوبخت مع ما يعنيه ذلك من أن ممتلكات أبي نؤاس التي جاءت أمه في طلبها كان يحتفظ بها آل نوبخت أو على الأقل، هذا ما يشير إليه سياق الخبر، وإلا فما الذي جعل وصي أبي نؤاس يقود أمه إلى بيت آل نوبخت لو لم يكن ذلك بهدف تمكينها من الحصول على تركة ابنها المتوفى المودعة لديهم؟

(٣٤) ابن منظور: مختار الأغاني، سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٩٨.

روايتين أو أكثر في بعضها، فجاء النص وكأنه يتحدث إلينا بأكثر من صوت. قد يكون من صاغ الخبر بالصورة التي ذكر بها في كتاب مختار الأغاني عمد إلى دمج رواية إسماعيل بن أبي سهل وتلك التي نقلت عن زكريا القشاري في نص واحد فترتب عن عملية الدمج هذه ضياع بعض الأجزاء من الروايتين معاً وبضياعهما فقد الخبر ما كان يتضمنه من عناصر الدقة مقارنة مع ذلك الذي نقله حمزة الأصبهاني. لذلك، تجدنا في حيرة من أمرنا بشأن الطريقة التي علينا التعامل بها مع هذه الصيغة للخبر؟ هل يتعلق الأمر برواية مختلفة، أم بتداخل بين روايتين أو أكثر ترتب عنه إعادة صياغة نص الخبر ومع إعادة الصياغة هذه تغيرت الدلالة وصارت الدفاتر تتضمن «أشعاراً» على وجه الإطلاق وليس «أشعاراً له»، أي لأبي نؤاس تحديداً كما وقفنا على ذلك في الرواية التي نقلها حمزة الأصبهاني^(٣٦).

تجدُ تساؤلاتنا بشأن رواية ابن منظور ما يدعّمها في خبر آخر نقله ابن منظور نفسه يتناول بدوره موضوع مكتبة أبي نؤاس، وهو خبر منقول عن الجاحظ ينص فيه صراحةً على أن قماطر أبي

(٣٦) راجعنا طبعة ثانية لكتاب مختار الأغاني وهي تلك التي أصدرها من بيروت المكتب الإسلامي في ١٩٦٤، وقد جاء فيها نص الخبر مطابقاً لما يوجد في الطبعة المصرية بتحقيق عبد العليم الطحاوي (الجزء الثالث). تجدر الإشارة إلى أن طبعة المكتب الإسلامي غير محققة وهي بذلك لا تبعث على الاطمئنان حتى يمكن اعتمادها للمقابلة والتصحيح. يبقى مع ذلك أن هذا التطابق ليس بالأمر الذي يمكن أن يمر دون إثارة الانتباه.

أما الخبر الثاني فيتحدث عن تركة أبي نؤاس التي سلّمها زكريا القشاري لأمه وهو كما يلي: «قال زكريا القشاري: كان ما سلمته لوالدة أبي نؤاس من تركته ما قيمته أقل من مائتي درهم. والذي خلفه هو قُمطر فيه دفاتر وأضابير وجزازات قراطيس فيها نسخ أشعار وغريب ألفاظ، وندر وشطرنج وعود وطنبور»^(٣٥). نلاحظ وجود اختلاف بين صيغتي الخبر بالصورة التي رواه بها النوبختيون وتلك التي ساقه بها ابن منظور في كتاب مختار الأغاني. يتعلق الاختلاف أول ما يتعلق بالمبلغ المالي، فالنوبخت تحدثوا عن مائتي دينار، في حين نصّ زكريا القشاري، بحسب ما نقله ابن منظور، على أنه لم يسلم أم أبي نؤاس إلا أقل من مائتي درهم. أما الاختلاف الآخر فيخصّ الدفاتر والأضابير وجزازات القراطيس التي وجدت في القمطر. في رواية آل نوبخت كانت هذه الأوراق تشتمل على نسخ أشعار أبي نؤاس ولم يذكروا شيئاً آخر غير ذلك (أضابير وقراطيس فيها نسخ أشعار له)، في حين أنّ الخبر كما نجده عند ابن منظور فيتحدث عن قُمطر فيه دفاتر وأضابير وجزازات قراطيس فيها نسخ أشعار وغريب ألفاظ من دون أي ذكر لصاحب أو أصحاب هذه الأشعار التي كان يحتفظ بها أبو نؤاس في هذا القمطر ولا هل يوجد من ضمنها أشعار تعود له؟

إنّ الخبر بالصورة التي نجده بها عند ابن منظور يظهر وكأنّ من نقله عمل على دمج

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٣ ص ٢٩٩.

يمكنه أن يمنع من افتراض أنهم، أي آل نوبخت، انتهزوا هذه الفرصة فأقدموا على استنساخ أشعاره قبل قدوم أمه إلى بغداد، وهو قدوم حصل، على ما يبدو، بعد انصرام مهلة زمنية طويلة نسبياً بحسب ما يفيدنا إياه الخبر المنقول عن زكريا القشاري.

بفضل اهتمام جل أفرادها بشعره جمعاً ورواية، وبفضل عملية استنساخ دفاطره المفترضة، صارت الأسرة النوبختية أحد أعمدة شعر أبي نؤاس الأساسية ومرجعاً من مراجعته التي يتعذر الاستغناء عنها، وبذلك فإن كل الرجال الذين قادتهم الأقدار إلى الاهتمام بشعره وأخباره جمعاً أو تصنيفاً أو اختياراً قد يكونون طرقتوا بابها في وقت من الأوقات. قد يكون هذا حال ابن السكيت (توفي ٢٤٥ هـ) وأبي سعيد السكري (توفي ٢٧٥ هـ) وأبي بكر الصولي (توفي ٣٣٥ هـ) الذي كان يرتبط بعلاقات صداقة وثيقة مع عدد من أفرادها^(٣٩)، ثم حمزة الأصبهاني (توفي قبل ٣٦٠

هـ) أن آل نوبخت كانوا على علم بوجود أم الشاعر على قيد الحياة بعد مماته بدليل أسفهم على عدم معرفتهم بهذه الحقيقة في حياته وإلا كانوا استغلوا في هجائه والتشنيع عليه.

(٣٩) كان الصولي تلميذاً لأبي سهل بن إسماعيل النوبختي (توفي ٣١١ هـ)، كما كان على علاقة وثيقة بفرد آخر من أفراد هذه الأسرة وهو علي بن العباس النوبختي (توفي ٣٢٧ هـ) وقد يكون سمع منهما معاً ومن غيرهما من آل نوبخت الآخرين المعاصرين له أخبار أبي نؤاس وأشعاره. يُنظر عباس إقبال: آل نوبخت، سبق ذكره، ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

نؤاس كما أخرجت إليهم لم تكن تشتمل أصلاً على مجاميع شعرية. يقول الجاحظ: «لما مات أبو نؤاس حضرت لأشتر من كتيبه شيئاً، فأخرجت إلينا قماطراً ما فيها إلا لغات العرب، وما فيها شعر شاعر البتة»^(٣٧). إذا اعتمدنا مضمون هذا الخبر الذي ينص صراحة على أن مكتبة أبي نؤاس لم يكن يوجد من بين ما يوجد بها أشعار شعراء آخرين مطلقاً، فإن الرواية الأخرى، تلك التي نقلها ابن منظور أيضاً التي تقول إن المكتبة كانت توجد بها نسخ أشعار يُفهم من العبارة التي صيغت بها أنها لشعراء آخرين غير أبي نؤاس، تضعف أو على الأقل تفقد جزءاً كبيراً من مقومات صدقيتها. مهما كان، نميل إلى الاعتقاد بأن الصيغة التي تناقلها آل نوبخت قد تكون أصح من غيرها، لا سيما وأنها لم تتداول بشكل واسع وقد تكون بذلك حافظت على صورتها الأولى ولم تعبت بها الأيدي، لا بشكل مقصود ولا غير مقصود، ومن هنا يمكن القول بنوع من الاطمئنان إن دفاطر أشعار أبي نؤاس كانت توجد من ضمن مخطوطاته ولا يمكن تصور ما يخالف ذلك، وإلا أين كان يحتفظ الشاعر بأشعاره إن لم يكن في منزله وفي مكتبته تحديداً؟

من الوجه القول إن تركة أبي نؤاس أودعت، بشهادة وصيه زكريا القشاري، لدى آل نوبخت في انتظار ظهور ورثته^(٣٨)، وعليه ليس هناك ما

(٣٧) ابن منظور: مختار الأغاني، سبق ذكره، ج ٣ ص ٣٠٠.

(٣٨) بالرجوع إلى الخبر المتعلق بتركة أبي نؤاس بالصورة التي نقله بها ابن منظور في كتاب مختار الأغاني، لا يبدو

هـ) وقد نص على ذلك صراحة في صنعته^(٤٠)، كما قد يكون حال إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتوزون (توفي ٣٥٥ هـ) صاحب صنعة أخرى لشعر أبي نؤاس وغير هؤلاء من الرجال الذين وضعوا صناعات لشعره أو اختاروه أو ألفوا كتبًا في أخباره.

من الثابت إذًا، أن أبا نؤاس، شأنه شأن غيره من الشعراء، كان يدون أشعاره في دفاتر ويحيطها بما يكفي من العناية، على الأقل القسم الذي كان ينوي الاحتفاظ به، وأن هذه الدفاتر وجدت ضمن تركته بحسب الخبر الذي نقله حمزة الأصبهاني وألت، أي الدفاتر، شأنها شأن باقي مخلفاته، إلى بني نوبخت الذين احتفظوا بها بعض الوقت، فعمدوا، على ما يظهر، إلى استنساخها ليحتفظوا بنسخة منها لأنفسهم وقد تكون هذه العملية هي التي سُميت جمعًا على سبيل الاستقصاء أو ديوانًا مصنوعًا ونُسب لسبب من الأسباب إلى يحيى بن الفضل كما جاء ذلك عند ابن النديم، وقد يكون يحيى بن الفضل هذا، هو من استنسخها فعلًا أو ساهم فيها ولا نقول صنعا في ديوان لأن مثل ذلك يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء. في هذه الحالة يمكننا أن نفهم معنى الجمع الذي قام به هذا الرجل والذي سيصبح عند ابن النديم ديوانًا مصنوعًا.

يبدو أن الصنعة التي نسبها ابن النديم إلى يحيى بن الفضل هي في الأصل عملية استنساخ لدفاتر الشاعر وأن سوء الفهم جاء من ترتيب الأشعار

(٤٠) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ج ٥ ص ٣٥٧.

بحسب الأصناف، فساد الاعتقاد أن ذلك من عمل يحيى بن الفضل وشاع الخبر وتداوله الناس. مع ذلك، علينا ألا نختزل عمل يحيى بن الفضل أو آل نوبخت في عملية استنساخ فحسب، بل يظهر أنهم عملوا على إضافة أشعار أخرى كانت تروى لأبي نؤاس ولم يكن لها وجود في دفاتره لأنه أسقطها لسبب من الأسباب أو لم يحطها بما يكفي من العناية، بحيث ذكر عباس إقبال أن أبا نؤاس « لم يراع الدقة الكافية في ضبط أشعاره، فتبعثر قسم منها وضاع»^(٤١)، ثم يضيف أن آل نوبخت عملوا على تدوينها «مع أخباره ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا، وتناقلوها في أسرهم شفاهًا»^(٤٢). قد لا نشاطر عباس إقبال رأيه بشأن قلة اهتمام أبي نؤاس بشعره، بل نميل إلى القول إنه لم يكن يرى أن كل الأشعار التي يقولها تستحق أن يحتفظ بها، كما أنه تغاضى عن الاحتفاظ بأشعار أخرى لرأي كان له فيها، وبذلك وجدت له أشعار كثيرة خارج دفاتره وهي صحيحة النسبة له وحاله من هذه الناحية لا يشكل، في واقع الأمر، استثناء بين الشعراء الذين دأبوا على إهمال مقادير قد تقل أو تكثر من إنتاجهم وإبعادها عن مجاميع أشعارهم لأسباب مختلفة لا مجال للخوض فيها الآن.

هكذا، قد يكون الجمع الجديد المنسوب ليحيى بن الفضل تضمّن، زيادة على محتويات الدفاتر، أشعارًا أخرى كانت تروى لأبي نؤاس خارجها، كما قد يكون تضمّن قطعًا من أخباره أيضًا مما

(٤١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٤٢.

كَانَ يَضْبِطُهُ آلُ نُوْبَخْتٍ. وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِشَأْنِ هَذَا الْجَمْعِ إِنَّهُ كَانَتْ تَتَوَفَّرُ فِيهِ بَعْضُ شُرُوطِ الْاِسْتِقْصَاءِ لِمَا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ آلُ نُوْبَخْتٍ أَضَافُوهُ إِلَى الدَّفَاتِرِ الْأَصْلِيَّةِ مِنْ أَشْعَارِ وَأَخْبَارِ تَخَصُّ أَبَا نُوَاسٍ. وَلَكِنْ، خِلَافًا لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِهِجَتِ عَبْدِ الْغَفُورِ الْحَدِيثِيِّ، لَا نَقُولُ إِنَّ هَذِهِ الْإِضَافَاتُ كَانَتْ مَلْفَقَةً وَلَمْ تَرَاغَ فِيهَا شُرُوطُ الْمُوثُوقِيَّةِ أَوْ أَنَّهَا لَمْ تُحْمَصْ بِالشَّكْلِ اللَّازِمِ، بَلْ إِنَّهَا خَضَعَتْ لِكُلِّ مَا يَلِزِمُ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالتَّدْقِيقِ بِشَأْنِ ثُبُوتِ نَسَبَتِهَا لِلْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ أَشْعَارًا كَانَتْ أَوْ أَحْبَابًا، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ آلَ نُوْبَخْتٍ كَانَ مَعْظَمُهُمْ خُلَطَاءَ لِأَبِي نُوَاسٍ وَمِنْ رُوَاةِ شِعْرِهِ وَأَخْبَارِهِ وَمِمَّنْ يُرَاجِعُونَ فِي شَأْنِهَا، كَمَا أَنَّ حَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيَّ لَمْ يَقْلَلْ، بِشَكْلِ مِنَ الْأَشْكَالِ، مِنْ قِيَمَةِ الْوَثَائِقِ الَّتِي كَانُوا يَحْتَفِظُونَ بِهَا أَوْ يَنْتَقِصُ مِنْ أَهْمِيَّةِ مَحْتَوِيَّاتِهَا أَوْ يَتَعَرَّضُ بِسُوءِ لَصَحَّةٍ مَا جَاءَ فِيهَا هُوَ الَّذِي قَضَى رَدًّا طَوِيلًا مِنْ حَيَاتِهِ يَتَّبِعُ أَشْعَارَ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ وَأَخْبَارَهُ حَتَّى أَنْ زِيَارَتَهُ لِآلِ نُوْبَخْتٍ لَمْ تَكُنْ بِهَدَفِ اسْتِنْسَاخِ كُلِّ مَا كَانَ لَدَيْهِمْ مِنْ شِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ وَأَخْبَارِهِ، بَلْ كَانَتْ غَايَتُهُ مِنْهَا اسْتِكْمَالُ جَمْعِهِ حَتَّى لَا يَفُوتَهُ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ يُرَوَى لِلشَّاعِرِ أَوْ عَنْهُ فِي عَصْرِهِ.

مَعَ ذَلِكَ، نَفَضُّ عَدَمَ مَسَايِرَةِ ابْنِ النَّدِيمِ فِي مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مِنْ وَصْفِ الْعَمَلِ الْمُنْسُوبِ لِیَحْيَى بْنِ الْفَضْلِ بِالْديوانِ الْمُرْتَّبِ عَلَى الْأَصْنَافِ، وَنَفَضُّ الْوَقُوفَ عِنْدَ حَدِّ أَنْ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ أَسَاسًا بِجَمْعِ قَدْ يَكُونُ اعْتِمَادًا عَلَى اسْتِنْسَاخِ الدَّفَاتِرِ الْأَصْلِيَّةِ لِلشَّاعِرِ مَعَ إِضَافَةِ أَشْعَارِ أُخْرَى لَهُ كَانَتْ تَتَدَاوَلُ خَارِجَهَا،

فَضْلًا عَنْ قَطْعِ مَنْ أَخْبَارَهُ لَا سَبِيلَ لِتَحْدِيدِ حَجْمِهَا وَقَدْ اسْتَفَادَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ حَمْزَةُ الْأَصْبَهَانِيَّ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ وَأَدْرَجَهَا أَوْ عَلَى الْأَقْلِّ جِزًا كَبِيرًا مِنْهَا فِي صَنْعَتِهِ لِلديوانِ، خَاصَّةً مَا انْفَرَدَتْ بِهِ وَمَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ قَدْ اسْتَطَاعَ الْوَصُولَ إِلَيْهِ بِطَرَقِ أُخْرَى خِلَالَ عَمَلِهِ فِي تَتَبِعِ أَشْعَارِ أَبِي نُوَاسٍ عَلَى امْتِدَادِ سِنِينَ طَوِيلَةٍ (٤٣).

هَذَا، وَقَدْ جَاءَتْ أَخْبَارٌ عَنْ وَجُودِ مَجَامِيعِ شَعْرِيَّةٍ تَضَمَّنَتْ بَعْضَ شِعْرِ الْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ كَانَتْ تَتَدَاوَلُ فِي حَيَاتِهِ بَيْنَ بَعْضِ الشُعْرَاءِ خَاصَّةً، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّقُ بِصَنْعَاتٍ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِلْكَلِمَةِ، بَلْ بِدَفَاتِرٍ قِيدَتْ فِيهَا بَعْضُ أَشْعَارِ الشَّاعِرِ لَا غَيْرِ، وَيَقُولُ فُوَادُ سُوَزَكِينُ بِهَذَا الْخُصُوصِ: «وَتَدَوَّلَتْ أَشْعَارُ لِأَبِي نُوَاسٍ، وَلَمْ يَزَلْ حَيًّا، فِي دَفَاتِرٍ وَمَجَامِيعِ صَغِيرَةٍ، وَأَخْبَرْنَا أَنَّ نَسَبَتْ إِلَيْهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الدَّفَاتِرِ أَشْعَارُ هِيَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ». مِثْلَ هَذِهِ التَّقْيِيدَاتِ الَّتِي كَانَتْ رَاجِعَةً فِي حَيَاةِ الشَّاعِرِ هِيَ فِي الْوَاقِعِ مَا كَانَ رِوَادِ مَجَالِسِهِ يَكْتُبُونَهُ مَبَاشَرَةً عِنْدَ سَمَاعِهِمْ عَنْهُ أَوْ عَنْ

(٤٣) نَمِيلُ إِلَى الْاِعْتِقَادِ أَنَّ ابْنَ النَّدِيمِ وَقَعَ فِي وَهْمٍ بِشَأْنِ الصَّنْعَةِ الَّتِي نَسَبَهَا لِیَحْيَى بْنِ الْفَضْلِ وَأَنَّ أَقْصَى مَا يَكُونُ قَدْ قَامَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ لَا يَتَجَاوَزُ، فِي الْوَاقِعِ، حُدُودَ مَجْمُوعِ كَبِيرٍ، كَمَا ذَكَرَ فُوَادُ سُوَزَكِينُ، وَلَيْسَ عَمَلًا مَصْنُوعًا عَلَى هَيْئَةِ دِيْوَانٍ. يَدْعُمُ هَذَا الزَّعْمُ وَقُوعَ مُؤَلِّفِ كِتَابِ الْفَهْرَسْتِ فِي وَهْمٍ آخَرَ فِي الْفَقْرَةِ الْمَخْصُصَةِ لِأَبِي نُوَاسٍ نَفْسَهَا، وَذَلِكَ عِنْدَمَا نَسَبَ صَنْعَةَ حَمْزَةَ بْنِ الْحَسَنِ الْأَصْبَهَانِيَّ لِشِعْرِ أَبِي نُوَاسٍ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ مَعَاوِرَ مَعْرُوفٍ هُوَ عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْأَصْبَهَانِيَّ. ابْنِ النَّدِيمِ: الْفَهْرَسْتِ، سَبَقَ ذِكْرُهُ، ج ١ ص ٥٠٥.

رواته، وأن شعر الحَسَن بن هانئ اختلط بشعر غيره وهو لا يزال حيا عن قصد أحيانا وعن غير قصد أحيانا أخرى وأسباب ذلك متعددة لا مجال للخوض فيها هنا، بل علينا أن نشير فقط إلى أن هذا الاختلاط لشعره بأشعار غيره جعل عملية تحقيق شعره وتمحيصه لتخليص صحيحه من زائفه فيما بعد عملية غاية في التعقيد، إلى حد أنه وقع اختلافٌ كبير بين الصناعات المتوفرة لديوانه في مقدار شعره^(٤٤).

أخيراً، هناك نقطة مثيرة للانتباه وهي تلك التي تتعلّق بتداول مجاميع شعرية في المدة الوجيزة التي تلت وفاة أبي نؤاس ووردت بشأنها بعض الأخبار في المصادر القديمة، بحيث يشارُ مثلاً، إلى أن أبا تَمَّام امتلك مجموعاً لشعر أبي نؤاس كان يعود إليه عند الاقتضاء للاستفادة منه واستلهاً مضامينه في بناء قصائده. وجود مثل هذه المجاميع الشعرية وتداولها بين الناس قد يجعلنا نخال أنها دواوين مصنوعة أو نسخٌ من الديوان المنسوب ليحيى بن الفضل، لذلك ارتأينا أن نَقفَ عندها ونفحص المعلومات المتوفرة بشأنها ونتحقّق من طبيعتها وهل يتعلّق الأمر بمجاميع غير معمولة أم بدواوين مصنوعة وفي هذه الحالة

(٤٤) يقول عبدُ القادر البغدادي في الخزانة عن ديوان أبي نؤاس: «وديوان شعره مُختلف لاختلاف جامعيه». عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولبُّ أبواب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١ ص ٣٤٨.

الأخيرة يلزمنا أن نأخذَ على عاتقنا المهمة الشاقّة المتمثلة في تحديد هويّة من سهر على تأليفها. جاء الخبر في صيغته الأولى وهي تلك التي نقف عليها في عدد من المصادر القديمة، كما يأتي: «أخبرني الحَسَن بن علي قال، حدّثني ابن مهرويه قال: حدّثني أحمد بن سعيد الحريري أن أبا تَمَّام حلف ألا يصليّ حتى يحفظ شعر أبي نؤاس ومسلم، فمكث شهرين كذلك حتى حَفَظَ شعرهما. قال: ودخلت عليه فرأيت شعرهما بين يديه، فقلت له ما هذا؟ فقال اللات والعزى وأنا أعبدُهما من دونِ الله»^(٤٥). النص غير واضح بشأن ما كان يمتلكه أبو تَمَّام من شعر أبي نؤاس ومسلم بن الوليد، هل كان يمتلك دواوين مصنوعة أو دفاتر تشتمل على أشعار لهما فقط، حتى أحمد بن سعيد الحريري عندما دخل عليه ووجد بين يديه أشياء من قبيل الكتب بادر بسؤاله، ما هذا؟ وصيغة السؤال بهذه الطريقة لا تساعد على معرفة طبيعة المدونات التي كانت بين يدي الشاعر وكل ما يمكن قوله إنها أشعار كان أبو تَمَّام يستعين بها في قريضه.

أما الصيغة الثانية للخبر فهي تلك التي جاءت في صنعة حمزة الأصبهاني عن طريق الأخفش الصغير عن أبيه قال: «دخلت بالموصل على أبي تَمَّام وعن يمينه شعر أبي نؤاس وعن يساره شعر مسلم بن الوليد وهو ينتزع منهما معاني

(٤٥) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، سبق ذكره، ج ١٩، ص ٤٠؛ الصُولي: أخبار أبي تمام، سبق ذكره، ص ١٧٣.

بين يدي حمزة الأصبهاني الذي استنسخها واستفاد منها في صنعه لديوان أبي نؤاس.

بقيت لنا نقطة أساسية لم نتعرض لها بالتفصيل اللازم حتى الآن فيما ذكره ابن النديم عن الصنعة التي نسبها ليحيى بن الفضل وهي تلك التي تتعلق بترتيب الأشعار فيها، إذ قال إنها كانت مرتبة على الأصناف وذكر أن مؤلف الديوان جعلها عشرة. يبدو من ظاهر كلام ابن النديم أن العمل الذي قام به يحيى بن الفضل تجاوز ما قلنا إنه عملية استنساخ بسيطة مع بعض الإضافات، إلى حد جعله يعمد إلى ترتيب الأشعار وفق مقياس لم يكن منتشرًا، أو على الأقل لم يكن منتشرًا بنحو واسع في ذلك الوقت وهو الترتيب القائم على الأصناف^(٤٧).

(٤٧) ترتيب الأشعار في المجموع الشعرية مازال لم يُدرس بشكل منظم، ولكن يبدو أنه مرّ بمراحل عدة، إذ كانت الأشعار ترتب في مرحلة أولى بحسب تواليها في الرواية المعتمدة، ثم بعد ذلك أعتمد معيار الطول والقصر، إذ كانت القصائد الطوال تنصدر الجمع وتأتي بعدها باقي الأشعار الأخرى مرتبة بحسب عدة أبياتها بين الطول والقصر وتنتهي بالأبيات المفردة. جاء بعد ذلك أبو بكر الصولي فأحدث نظامًا جديدًا هو ذلك الذي يقوم على ترتيب الأشعار بحسب حروف المعجم التي ترد رويًا في القوافي. أما التصنيف الآخر القائم على الأصناف، فيبدو أن أبا نؤاس هو من أحدثه كما سيوضح ذلك في الفقرة الموالية من هذا البحث، وهو تصنيف للأشعار لم يكن معروفًا ولا معمولًا به في السابق إلى أن وجدناه عند أبي نؤاس مع ما يثبت أنه هو نفسه الذي بوب أشعاره بحسب الأصناف. عن إحداه الصولي للترتيب الأبجدي للأشعار بحسب توالي أحرف الهجاء في روي القوافي، يُراجع الصولي: شرح الصولي لديوان أبي تمام، دراسة وتحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الإعلام، العراق، ١٩٧٧-١٩٧٨، ج ١ ص ٩٣.

وألفاظًا يجعلها مادة لقرض الشعر، فقلت: ما هذان الدفتران؟ فقال: هذا هاروت وهذا ماروت أخذ منهما السحر البابي^(٤٦). الأمور واضحة تمامًا في هذه الرواية الثانية، إذ إن السائل طرح سؤاله بطريقة مضبوطة: ما هذان الدفتران؟ وهو ما يجعلنا نفهم أن الأمر يتعلق بدفاتر بها أشعار وليس بدواوين مصنوعة. إلى هذا الحد يمكن القول إن شعر أبي نؤاس كان يتداول في مجاميع وهو على قيد الحياة وتواصل ذلك بعد وفاته بين الشعراء وغير الشعراء، ولكن يبدو أن هذه الأشعار كانت على الأرجح غير معمولة.

لا نعتقد مع ذلك بوجود علاقة بين المجموع الذي كان في حوزة أبي تمام والمجموع الذي صنّفه آل نوبخت ونسبه ابن النديم إلى يحيى بن الفضل، بالنظر إلى أن هذا الجمع لم يكن موجهاً، على ما يظهر، للتكسب بل للاستعمال الشخصي داخل الأسرة النوبختية، ذلك أن عدداً من أعضائها كانوا من ممدوحي أبي نؤاس وندمائه وخاصة أصدقائه وإن لم تخل العلاقة بينهم من تشنج في بعض الأحيان كما يمكن أن يحصل مثل ذلك في كل العلاقات الإنسانية، لكن وشائج الصداقة بين الطرفين ظلت ثابتة كما تدل على ذلك أخبار عدة وردت في المصادر القديمة على رأسها توارث أشعار أبي نؤاس وأخباره في الأسرة وحرص أفرادها على روايتها والسهر على صيانتها جيلاً بعد جيل إلى أن وجدناها في القرن الرابع الهجري

(٤٦) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ج ١ ص ١٨.

نقفُ بهذا الصدد على خبر مثير للانتباه في صنعة حمزة الأصبهانيّ منسوب لأبي سعيد السكّري صاحب صنعة أخرى لديوان أبي نؤاس لم يكملها كما قال ابن النديم^(٤٨). يفيد نصُّ الخبر أنّ طرديات أبي نؤاس كانت توجد معزولة عن باقي شعره في حياته. وقد نقلَ حمزة الأصبهانيّ الخبرَ المذكور من رسالة لأبي العباس العماري (توفي ٣١٩ هـ) استعان بها من ضمن وثائق أخرى في تأليف صنعته، وفيما يأتي نصه: «حكى أبو العباس العماري عن ابن مهرويه عن الحسن بن الحسين السكّري، قال: أخرج إلينا إبراهيم بن محبوب دفترًا ذكر أنه إملاء أبي نؤاس وفيه توقيعه بخطه، فيه نيف وسبعون أرجوزة في الطرد»^(٤٩). بغض النظر عن عدد الأراجيز والقصائد التي قالها أبو نؤاس في هذا النوع من الشعر وما كان يوجد من اختلاف بين الرواة بشأن عدة ما نظمته فيه، فإنَّ النقطة المهمة التي تثير الانتباه هي أنّ الطرديات كانت توجد معزولة عن باقي شعره في حياته وأن هذا العزل قد لا يكون من عمل الرواة لأنَّ الخبر، كما رواه أبو سعيد السكّري، ينصُّ على أن هذه الأشعار كانت من إملاء أبي نؤاس وتحمل فوق ذلك توقيعه بخطه.

قد لا تكون هذه الصورة اقتصر على الطرديات وحدها، بل قد تنطبق كذلك على باقي الأصناف الأخرى؛ ولذا فليس هناك ما يمكنه أن

(٤٨) ابن النديم، الفهرست، سبق ذكره، ص ٥٠٤.

(٤٩) حمزة الأصبهانيّ: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧.

يمنع من افتراض أنّ هذا التوبيب بحسب الأنواع قد يكون من عمل أبي نؤاس نفسه، ولا يستبعد أن دفاتر شعره التي تحوز بها، كما سبق أن قلنا، آل نوبخت بشكل مؤقت، كانت مرتّبة وفق هذا التصنيف تحديداً؛ فليس هناك ما يمكن اعتباره ابتكاراً في المجموع المنسوب إلى يحيى بن الفضل الذي قال ابن النديم إنَّه صنّع ديوان أبي نؤاس ورثب فيه الأشعار على الأصناف. نميلُ إلى القول بناء على ما لاحظناه بشأن الطرديات أنّ عمل يحيى بن الفضل لم يزد في أحسن الأحوال عن عملية استنساخ بسيطة للأصول المكتوبة بخط أبي نؤاس وقد يكون أضاف إليها بعض الأشعار التي كانت تتداول خارجها.

يؤكد هذا الزعم أنّ ابن السكّيت حافظ بدوره على التصنيف نفسه في صنعته للديوان، كما نص على ذلك صاحب كتاب الفهرست^(٥٠)، وفي هذا ما يوحي بأنّ هذا التصنيف بالذات لم يكن ثمرة اجتهاد من لدن شخص عرف باهتمامه بشعر أبي نؤاس وروايته، بل من عمل الشاعر نفسه وأنّه كان معروفاً، فيما نرجح، بين رواته أو على الأقلّ في صفوف فئة معينة منهم. إذا صح هذا

(٥٠) يقول ابن النديم: «ومن العلماء أبو يوسف يعقوب ابن السكّيت وفسره في نحو ثمانمائة ورقة وجعلها أيضاً عشرة أصناف». ابن النديم: الفهرست، سبق ذكره، ج ١ ص ٥٠٤. يبدو أن ابن النديم لم يكن ملماً بالتفاصيل الدقيقة المحيطة بحقيقة شعر أبي نؤاس، فكون أن الأصناف جاءت عشرة عند يحيى بن الفضل وابن السكّيت لم يكن ليثير انتباهه ويدفعه إلى التساؤل بشأن هذا التطابق، هل هو عرضي أم مقصود؟ ثم كيف اتفق أن التزم به الرجلان معاً؟

الخبر، فإن أبا نؤاس هو الذي قد يكون عزل طردياته عن باقي شعره، وإذا كان الحال كذلك، فلا يُستبعد أن يكون فعل مثل ذلك مع باقي الأصناف الشعرية الأخرى التي نَظِمَ فيها وهو الذي جعلها عشرة أصناف وليس شخصاً آخر غيره وهو الأمر الذي يفسر أن ابن السكيت حافظ عليه في صنعته للديوان ولم يستبدله بتصنيف آخر من عنده، لا سيما وأنه لم يُعرف عنه التزامه بهذا التبويب فيما صنعه من دواوين شعرية غير ديوان أبي نؤاس.

كنا حتى الآن نميل، خلافاً لما نص عليه ابن النديم، إلى ترجيح أن تقسيم أشعار أبي نؤاس بحسب الأصناف لم يكن من فعل يحيى بن الفضل، بل قد يكون من عمل الشاعر نفسه، بالنظر للخبر المتعلق بطردياته التي كانت توجد معزولة عن باقي شعره في حياته، لكننا ما لبثنا أن حصلنا على الدليل القاطع الذي لم يعد يُحتمل معه شك في أن أبا نؤاس هو من رتب شعره في حياته على الأصناف وجعلها عشرة استناداً إلى خبر أورده الصولي، حيث يقول في مستهل صنف المونث (الغزل بالمونث) وهو السادس في ترتيب الأصناف الشعرية في الصنعة التي وضعها لشعر أبي نؤاس ما يأتي: «قال أبو بكر [الصولي]: الغزل داخل في المذكر والمونث لأن الناس يجعلونهما غزلاً وأفردناهما نحن على ما كان رسمه هو [أبو نؤاس] في شعره، فإنه قسمه عشرة أقسام»^(٥١).

(٥١) الصولي: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ص ٥٨٥.

هذا، وقد جاء هذا الخبر نفسه، ولكن بصيغة مختلفة نوعاً ما في أصلين مخطوطين لنفس الصنعة اعتمدهما إيفالد فاغنز محقق صنعة حمزة الأصبهاني. نقرأ في نص الخبر بالصورة التي اقتبسها بها إيفالد فاغنز ما يأتي: «قال أبو نؤاس الحسن بن هانئ في المونث، والغزل داخل فيه، وفي المجون؛ والناس يجمعون بين الغزل والمجون وأفردناهما نحن على ما كان من رسمه في شعره، فإنه قسمه عشرة أقسام»^(٥٢).

الخبر بالصورة التي جاء بها في هذه الصيغة الثانية، وإن كان ينص صراحة على أن أبا نؤاس كان له رسم وضعه بنفسه لشعره بتقسيمه إياه إلى عشرة أصناف، فإن الطريقة التي يفترض أن الشاعر اتبعها للوصول إلى العدد المقصود تبدو مضطربة وقد لا تفي بالغرض؛ ذلك أنه، أي الخبر، يفيد بأن الشاعر حصل على العدد الذي رسمه لأصناف شعره بعزله الغزل بالمونث عن المجون، وإلا فإنهما صنف واحد في الأصل، وبهذا الغزل تحصل له ما كان يريده، أي جعل أصناف شعره عشرة في النهاية. إذا اعتمدنا نص هذا الخبر بالصورة التي جاء بها مرجعاً لتقسيم أشعار أبي نؤاس، فإننا لا نصل إلى العدد المنسوب إليه، بل إلى تسعة أصناف عدا وحصرها وهي على التوالي: المديح، الرثاء، الهجاء، العتاب، الزهد، الطرد، الغزل، الخمر، المجون. مع ذلك، يمكن

(٥٢) حمزة الأصبهاني: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره،

نؤاس لشعره على الأصناف العشرة ربّما لم يكن معروفاً بشكل واسع بدليل أن حمزة الأصبهاني لم ينقل الخبر لا بالصورة التي نقله بها الصولي ولا بغيرها، ولكنّه، على ما يبدو، كان على علم به بدليل أنّه بَوَّب الأشعار في عشرة أبواب وهو أمر لا يبدو أنّه من اجتهاده الخاص، بل التزم فيه بما كان يعرفه بشأن الرسم الذي وضعه أبو نؤاس لشعره (٥٣).

لا يترك الخبر الذي نقله الصولي مجالاً للشك، رغم ما بين صيغتيه من اختلاف في اللفظ، على أنّ أبا نؤاس هو الذي قَسَم شعره وجعله عشرة أصناف في حياته ولو لم يكن الأمر كذلك لما أورده ونصّ على ذلك بصريح العبارة، بل أكثر من ذلك، لو لم يكن التقسيم من عمل الشاعر نفسه لما احترمه الصولي والتزم بحدوده، وقد يكون فضل

(٥٣) إذا كان من الثابت الآن أنّ أبا نؤاس هو من بَوَّب أشعاره وجعلها عشرة أصناف، فإننا لا ندري كيف رتب هذه الأصناف مع بعضها، لذلك سنجد اختلافاً كبيراً بين الطريقة التي رتبها بها الصولي وتلك التي اعتمدها حمزة الأصبهاني. استند الصولي إلى مقياس خاص به سماه مقياس الجودة، فجاءت الأصناف الشعرية مرتبة عنده باعتماد هذا المقياس كما يلي: الخمريات، الطرد، المدح، الهجاء، المذكر، المؤنث، المجون، المعاتبات، المراثي، الزهد؛ وبعد ذلك رتب الأشعار داخل كل صنف بحسب توالي حروف المعجم لروبي القوافي. أما حمزة الأصبهاني فاعتمد، إذا صحّ القول، ترتيباً تقليدياً جاء كما يلي: المديح، الرثاء، العتاب، الهجاء، الزهد، الطرد، الخمريات، المؤنثات، المذكرات، المجون؛ وبعد ذلك رتب الأشعار داخل كل صنف معتمداً مقاييس مختلفة بحسب الحاجة وما يقتضيه كل صنف من الأصناف.

قراءة النص قراءة أخرى تتمثل في افتراض أنّ أبا نؤاس عزل الغزل بالمؤنث عن المجون بعد أن عزل عنهما في مرحلة أولى الغزل بالمذكر، وهي قراءة تساعدنا في الحصول على العدد المطلوب، وإن كانت قراءة فيها غير قليل من التكلف وليس لها ما يسندها صراحة في النص ما عدا اعتبار الغزل بالمذكر صنفاً قائماً بذاته شأنه شأن الأصناف الأخرى وأن المجون مرتبط فقط بالغزل بالمؤنث وبفصلهما عن بعضهما واعتبارهما صنفين قائمين بذاتهما نحصل على العدة المطلوبة.

أما الخبر كما جاء في الصيغة المذكورة أولاً، فواضح تماماً، إذ يبدو أنّ أبا نؤاس كان يبحث عن رقم له دلالة رمزية وهو عشرة يحصر فيه أصناف شعره ولم يتمكن من الحصول عليه إلا بعزل الغزل بالمؤنث عن الغزل بالمذكر وجعلهما صنفين مستقلين عن بعضهما، على أن الأمر يتعلق في نهاية المطاف بصنف شعري واحد هو الغزل؛ وعلى هذا الأساس أصبحت الأصناف في ديوان شعره عشرة وهي على التوالي: المديح، الرثاء، الهجاء، العتاب، الزهد، الطرد، الغزل بالمؤنث، الغزل بالمذكر، الخمر، المجون.

يبدو أنّ هذا الخبر جاء عن طريق الصولي وحده أو على الأقل لم نقف إلى الآن على مَنْ نقله لا بهذه الصورة ولا بصورة مختلفة، حتى عندما اقتبس إيفالد فاغندر في نصّ تحقيقيه لصنعة حمزة الأصبهاني، فإنّه قام بذلك نقلاً عن أصلين مخطوطين لصنعة الصولي اعتمدهما في عمله. نستفيد من هذا الانفراد أنّ تقسيم أبي

عليه تبويباً مختلفاً من اختياره الشخصي.

هكذا، نجد أنفسنا أمام حالة قد تكون فريدة من نوعها حتى الآن بين الشعراء إذ لم يسبق لنا أن وقفنا على ما يفيد أن شاعراً اعتنى بشعره وراح يقسمه بحسب الأصناف إلى هذا العصر وربما كان أبو نؤاس في طريقه إلى تأليف ديوانه بنفسه وإذاعته في الناس، ولكن الأجل قد لا يكون أمهله حتى يحقق ما خطط له وعزم على تنفيذه، لا سيما إذا استحضرنا أن وفاته قد لا تكون حصلت في ظروف عادية^(٥٤).

يتضح الآن بشكل ينتفي معه الشك أن التقسيم الذي ذكره ابن النديم ونسبه ليحيى بن الفضل لم يتحرر فيه الدقة الضرورية ولم يخضعه للتحقيق اللازم بل ساقه بالشكل الذي وصل به إليه أو على الأقل هذا ما يظهر لنا من قراءة ما خطه بقلمه وهو يتحدث عن الديوان المنسوب لهذا الرجل.

تجدد الإشارة إلى أن الصولي أشار مرة في صناعته لديوان أبي نؤاس^(٥٥)، ومرة أخرى في رسالته إلى

(٥٤) تذكر المصادر القديمة روايات عدة عن أسباب وفاة أبي نؤاس، بعضها يتحدث عن تسميمه من قبل آل نوبخت وبعضها يفيد أنهم، أي آل نوبخت، داسوا بطنه بأقدامهم بناء على خبر لم يصح عن هجائه لعلي بن أبي طالب، لأنهم كانوا يتشيعون، وهناك من يتحدث عن أن أحد أفرادهم ضربته ضرباً مبرحاً إثر هجائه إياه فكان ذلك سبب وفاته ... وآل نوبخت ينكرون كل ذلك، ما عدا اعترافهم أن علياً بن أبي سهل بن نوبخت قد ضربته. يُنظر ابن منظور: مختار الأغاني في الأخبار والتهاني، سبق ذكره، ج ٣ ص ٢٩٨.

(٥٥) الصولي: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ص ٤٩٩.

أبي الليث مزاحم بن فاتك التي تنصدر كتابه عن أخبار أبي تمام^(٥٦)، إلى ما يفيد أن شعر الحسن بن هانئ كان يتداول في الأسواق وقد وصف هذه الأشعار المتداولة، مرة بالنسخة من شعره من غير ما عمله هو، أي الصولي^(٥٧)، ومرة أخرى بالدواوين، ولكنّه أضاف أنّها من تأليف من لا يعرف، وذلك عندما يقول: «المنحول إليه في هذه القافية مما رأينا في الدواوين التي دوتها من لا يعرف»^(٥٨). هكذا، فإن أشعار أبي نؤاس التي كانت تتداول في عهد الصولي وتباع في الأسواق بأثمنة عالية أحياناً هي، على رأيه، إما عبارة عن نسخ، أي أشعار غير معمولة على الأرجح، أو أنها دواوين مصنوعة، ولكنّها صنعت من لدن من لا يعرف، أي من لا يعرف شعر أبي نؤاس حق المعرفة ولا يضبطه كما يحسن أن يكون الضبط ولا يتمتع بما يكفي من القدرة على تمييز صحيح شعره من زائفه.

لا ندري كيف يمكننا التعامل مع هذا الحكم العام، لا سيما وأنه ينسحب، على ما يبدو، ليس فقط على ما ينعت بالصنعة المنسوبة ليحيى بن الفضل، وإنما أيضاً على صنعتي كل من ابن السكيت (توفي ٢٤٤ أو ٢٤٥ هـ) وأبي سعيد السكري (توفي ٢٧٥ هـ) التي لم تكتمل. يعترف الصولي بوجود أشعار كانت تتداول قبل إنجاز

(٥٦) الصولي: أخبار أبي تمام، سبق ذكره، ص ٥٥ - ٥٦.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٥٨) الصولي: ديوان أبي نؤاس، سبق ذكره، ص ٤٩٩.

المصادر والمراجع

- ابن الأنباري، كمال الدين عبد الرحمن بن مُحَمَّد، أبو البركات (توفي ٥٧٧ هـ): نزهة الألباء في أخبار الأدباء، تحقيق إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩
- ابن الجراح، مُحَمَّد بن داود، أبو عبد الله (توفي ٢٩٦ هـ): تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦
- ابن جنّي، عثمان، أبو الفتح (توفي ٣٩٢ هـ): تفسير أرجوزة أبي نؤاس في تقرّيز الفضل بن الربيع، تحقيق بهجت الأثري، المجمع العلمي، دمشق، ١٩٦٦.
- ابن خلّكان، شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد، أبو العبّاس (توفي ٦٨١ هـ): وفيات الأعيان، تحقيق دكتور إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤.
- ابن عبد ربه، أحمد بن مُحَمَّد، أبو عمر (توفي ٣٢٨ هـ)، العقد الفريد، تحقيق مُحَمَّد سعيد العريان، المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٣.
- ابن عسّاكر، علي بن الحسن، أبو القاسم (توفي ٥٧١ هـ): تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العموري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- ابن قتيبة، عبد الله بن عبد المجيد، أبو مُحَمَّد (توفي ٢٧٦ هـ): الشعر والشعراء، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- ابن المعتز، عبد الله، أبو العبّاس (توفي ٢٩٦ هـ): طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- ابن المعتز، عبد الله، أبو العبّاس: شعر ابن

صنعتِه للديوان، ولكنّه يحرص على أن يضيف أنّها عمّلت بأيدي مَنْ لم يكن معهم شيءٌ من العلم بشعر الحَسَن بن هانئ وضبطه.

ما الذي يمكننا أن نفهمه من هذا الكلام؟ نفهمُ منه أمرين اثنين، إما أنّه لم يكن يعدّ ما عمله السابقون عليه مثل ابن السكيت والسكري وقبلهما يحيى بن الفضل صنعاتٍ بالمعنى الدقيق للكلمة أو أنّه تجاهلها مجتمعة لسبب من الأسباب. هذا التقدير الأخير علينا أن نأخذه مأخذ الجدّ، بالنظر إلى أنّ صنعة ابن السكيت وتلك التي نسبت ليحيى بن الفضل خاصّة، سكتت عنهما المصادر القديمة ولم تذكرهما وكأننا بهما لم تُصنعا على الإطلاق. لكنّ مثل هذا الافتراض لا ينفي ما يستشفّ في كلام الصوّليّ من اعتداد بالنفس قد يجعل المرء أحياناً لا ينظر إلى مجهودات غيره نظرة موضوعية، بل يتحامل على ما عملوه بدون مبرر مقنع، لا لشيء إلا حباً في الظهور بصورة المرجع والإمام، ولكن هناك بونٌ شاسع بين الحقيقة وما يدّعيه المرء عن نفسه والهالة التي قد يحاول إحاطة شخصه بها، إلى حد وجدنا فيه ابن النديم يُصدر في حق الصوّليّ حكماً قاسياً بشأن صنعتِه لديوان ابن هرمة وذلك عندما قال: «وقد صنعه الصوّليّ ولم يأت بشيء»^(٥٩).

(٥٩) ابن النديم: كتاب الفهرست سبق ذكره، ج ١ ص ٥٠٣.

- المعتز، صَنَعَة أَبِي بَكْر الصُّوْلِيّ، تحقيق يونس أحمد السامرائي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨.
- ابن المعتز، عبد الله، أبو العَبَّاس: فصول التماثيل في تباشير السرور، المطبعة العربيّة بمصر، القاهرة، ١٩٢٥
- ابن مَنْظُورٍ، مُحَمَّد بن مكرم (توفي ٧١١ هـ): مُخْتَار الأغانِي فِي الأَخْبَار وَالتَّهَانِي (الجزء الثالث)، تحقيق عبد العليم الطحاوي، الدار المصريّة للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦.
- ابن مَنْظُورٍ، مُحَمَّد بن مكرم: مُخْتَار الأغانِي فِي الأَخْبَار وَالتَّهَانِي (الجزء الثالث)، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٦٤.
- ابن مَنْظُورٍ، مُحَمَّد بن مكرم: أبو نُوَاس فِي تاريخه وشعره ومبازله وعبثه ومجونه، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥.
- ابن النَّدِيم، مُحَمَّد بن إِسْحاق، أبو الفرج (توفي ٣٨٠ هـ): الفِهْرِسْت، قابله على أصوله وعلق عليه أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩.
- ابن النَّدِيم، مُحَمَّد بن إِسْحاق، أبو الفرج: الفِهْرِسْت، تحقيق رضا تجدد، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٨.
- ابن واصل الحموي، مُحَمَّد بن سالم، أبو عبد الله (توفي ٦٩٧ هـ): تجريد الأغانِي، تحقيق طه حسين وإبراهيم الأبياري، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٥.
١٧. الأَصْبَهَانِيّ، أحمد بن عبد الله، أبو النعيم: كتاب ذكر أخبار أصبهان، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، بدون تاريخ.
- الأَصْبَهَانِيّ، حمزة بن الحسن، أبو عبد الله (توفي قبل ٢٦٠ هـ): ديوان أبي نُوَاس، تحقيق إيفالد فاغنز وغريغور شولر، النشرات الإسلاميّة، دار نشر الكتاب العربيّ، برلين، ألمانيا، ١٩٧٢ - ٢٠٠٦
- الأَصْبَهَانِيّ، حمزة بن الحسن، أبو عبد الله: الفصول المُخْتَارَة من كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق ديانا موسى رحيل، دار أروقة للدراسات والنشر، عمان، ٢٠١٣
- الأَصْبَهَانِيّ، حمزة بن الحسن، أبو عبد الله: الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر، تحقيق أحمد بن مُحَمَّد الضبيّب، دار المدار الإسلاميّ، بيروت، ٢٠٠٩.
- الأَصْبَهَانِيّ، حمزة بن الحسن، أبو عبد الله: الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
- الصُّوْلِيّ، مُحَمَّد بن يَحْيَى، أبو بكر (توفي ٣٣٥ هـ): ديوان أبي نُوَاس برواية الصُّوْلِيّ، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١٠.
- الصُّوْلِيّ، مُحَمَّد بن يَحْيَى، أبو بكر: كتاب الأوراق، أخبار الراضي والمتقي لله أو تاريخ الدولة العبّاسية من ٣٢٢ إلى ٣٣٣ هـ، عني بنشره ج هيورث دن، القاهرة، ١٩٣٥.
- الصُّوْلِيّ، مُحَمَّد بن يَحْيَى، أبو بكر: كتب الأوراق، قسم أخبار الشعراء، تحقيق جيمس هيورث دن، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤.
- الصُّوْلِيّ، مُحَمَّد بن يَحْيَى، أبو بكر: كتاب الأوراق، أخبار الراضي والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العبّاسية من تاريخ ٣٢٢ هـ إلى ٣٣٣ هـ، تحقيق جيمس هيورث دن، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٥.

دكتور رمضان عبد التواب، دار الأمانة بيروت، ١٩٧١.

- عَبَّاسُ إِقبال: آل نوبخت، نقله إلى العَرَبِيَّةِ علي هاشم الأَسدي، مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، إيران، ١٤٢٥.

- صلاح الدين المنجد: المنتقى من دراسات المستشرقين، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٥٥.

- فؤاد سوزكين: تاريخ التراث العَرَبِيّ، نقله إلى العَرَبِيَّةِ مصطفى عرفة، مراجعة محمود فهمي حجازي وسعيد عبد الرحيم، منشورات جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلاميَّة، ١٩٩١.

- مجاهد مصطفى بهجت: المكتبة الشعرية في العصر العَبَّاسي ١٣٢ هـ - ٦٥٦ هـ، تَبَّتْ وفهرسة وصفية تحليلية للدواوين والمجاميع الشعرية، جامعة أم القرى، السعودية، ١٩٨٩.

- ناصر الدين الأسد: مَصَادِرُ الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.

- يونس أحمد السامرائي: شعراء عَبَّاسيون، مكتبة النهضة العَرَبِيَّة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٠.

- الصُّوليّ، مُحمَّد بن يحيى، أبو بكر: كتاب الأوراق، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، تحقيق جيمس هيورث دن، مطبعة الصاوي، القاهرة، ١٩٣٦.

- الصُّوليّ، مُحمَّد بن يحيى، أبو بكر: أخبار أبي تمام، تحقيق خليل محمود عساكر ومُحمَّد عبد عزام ونظير الإسلام الهندي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧.

- الصُّوليّ، مُحمَّد بن يحيى، أبو بكر: أخبار البحري، تحقيق صالح الأشرتر، مطبوعات المجمع العلمي، دمشق، ١٩٥٨.

- العسكري، الحَسَن بن عبد الله، أبو أحمد (توفي ٣٨٢ هـ): المصون في الأدب، تحقيق عبد السلام مُحمَّد هارون، سلسلة التراث العَرَبِيّ، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤.

المراجع

- أحمد جمال العمري: أبو بكر الصُّوليّ، العلم، الأديب، النديم، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣.

- رودلف زلهاييم: الأمثال العَرَبِيَّة القديمة، ترجمة